المحاضرة الثانية

سادساً: عمله (صلى الله عليه وسلم) في الرعي

كان ابو طالب مقلاً في الرزق فعمل النبي (صلى الله عليه وسلم) برعي الغنم مساعدة منه لعمه، فلقد أخبر (صلى الله عليه وسلم عن نفسه الكريمة وعن إخوانه من الأنبياء أنهم رعوا الغنم، أما هو فقد رعاها لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه عن رعيه، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ما بعث الله نبيا إلا زعى الغنم فقال: أصحابه وأنت يارسول الله؟ وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط، إن رعي الغنم كان يتيح للنبي (صلى الله عليه وسلم) الهدوء الذي تتطلبه نفسه الكريمة، ويتيح له المتعة بجمال الصحراء، ويتيح له التطلع الى مظاهر جلال الله

في عظمة الخلق، ويتيح له مناجاة الوجود في هدأة الليل وظلال القمر ونسمات الأشجار يتيح له لوناً من التربية النفسية من الصبر والحلم والأناة والرأفة والرحمة . ورعي الغنم يتيح لصاحبه عدة خصال تربوية منها :

١- الصبر على الرعي من طلوع الشمس الى غروبها ، نظراً لبطئ الغنم في الأكل، فيحتاج راعيها الى الصبر والتحمل، وكذا تربية البشر

٢- التواضع: إذ طبيعة عمل الراعي خدمة الغنم والإشراف على ولادتها، والقيام بحراستها والنوم بالقرب منها، وربما أصابه ما أصابه من رذاذ بولها أو شيء من روثها فلم يتضجر من هذا، ومع المداومة والاستمرار يبعد عن نفسه الكبر والكبرياء ويرتكز في نفسه خلق التواضع

٣- الشجاعة: فطبيعة عمل الراعي الاصطدام بالوحوش المفترسة، فلابد أن يكون على جانب كبير من الشجاعة تؤهله للقضاء ولمنع الوحوش من افتراس أغنامه . ٤- الرحمة والعطف إن الراعي يقوم بمقتضى عمله في مساعدة الغنم إن هي مرضت أم كسرت أو أصيبت، وتدعوا حالة مرضها وألمها الى العطف عليها وعلاجها والتخفيف من آلامها، فمن يرحم الحيوان يكون أشد رحمة بالإنسان وبخاصة إذا كان رسولاً أرسله الله تبارك وتعالى لتعليم الإنسان وإرشاده وإنقاذه من النار وإسعاده في الدارين .

٥- حب الكسب من عرق الجبين: إن الله قادر على أن يغني محمداً صلى الله عليه وسلم) عن رعي الغنم، ولكن هذه تربية له ولأمته للأكل من كسب اليد وعرق الجبين وصاحب الدعوة يجب أن يستغني عن ما في أيدي الناس ولا يعتمد بدعوته عليهم ، فبذلك تبقى قيمته وترتفع منزلته، ويبتعد عن الشبه والتشكيك فيه، ويتجرد عمله الله تعالى، ويرد شبهة الكفرة الظلمة الذين يصورون للناس ان الأنبياء أرادوا الدنيا بدعوتهم .

روى البخاري عن المقدام (رضي الله عنه عن رسول الله قال : (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده).

سابعاً: حفظ الله تعالى لنبيه قبل البعثة :

إن الله تعالى صان نبيه (صلى الله عليه وسلم) عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام روى الإمام أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه (رضي الله عنه قال : حدثني جار لخديجة (رضي الله عنها أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول لخديجة : أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزى. قال: كان صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون ، وكان لا يأكل ماذبح على النصب ، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نفيل

وقد حفظه الله تعالى في شبابه من نزعات الشباب ودواعيه ، فعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلتيهما يعصمني الله منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها : (أبصر إلى غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما يسهر الفتيان، قال: نعم، فخرجت فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت فقال: ما فعلت؟ فأخبرته. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا من الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت ما فعلت شيئا. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): فو الله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته .

ثامناً: لقاء الراهب بحيرا بالرسول وهو غلام

خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي (صلى الله عليه وسلم) في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب ، هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يسيرون فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت. فبينما هم يحلون رحالهم جعل الراهب يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الاخر ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة، فلما جلس مال في الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه . قال : فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ماجاء بكم؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبقى طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره، بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد . هو خير منكم؟ قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه قال : أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب.

ومما يستفاد من قصة بحيرا عدة أمور منها:

١- إن الصادقين من رهبان أهل الكتاب يعلمون أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو الرسول للبشرية، وعرفوا ذلك لما وجدوه من إمارات وأوصاف عنه في كتبهم.

٢- إثبات سجود الشجر والحجر للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وتظليل الغمام له وميل في الشجرة عليه.

٣- إن النبي (صلى الله عليه وسلم) استفاد من سفره وتجواله مع عمه وبخاصة من أشياخ قريش حيث اطلع على تجارب الآخرين وخبرتهم ، والاستفادة من آرائهم، فهم أصحاب خبرة ودراية وتجربة لم يمر بها النبي (صلى عليه وسلم) في سنه تلك.

٤- حذر بحيرا من النصارى وبين أنهم إذا علموا بالنبي (صلى الله عليه وسلم) أنه سيقتلونه وناشد عمه وأشياخ مكة ألا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة يقتلونه، لقد كان الرومان

على علم بأن مجئ هذا الرسول سيقضي على نفوذهم الاستعماري في المنطقة، ومن ثم فهو العدو الذي سيقضي على مصالح دولة روما، ويعيد هذه المصالح إلى أربابها، وهذا ما يخشاه الرومان.

تاسعاً: حرب الفجار:

اندلعت هذه الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة وبين هوازن وسببها أن عروة الرحال بن عتبة ابن هوازن أجار لطيمة وهي الجمال التي تحمل الطيب والبز والتجارة - للنعمان ابن المنذر إلى سوق عكاظ.

فقال البراض بن قيس ابن كنانة اتجيرها على كنانة ؟ قال نعم، وعلى الخلق فخرج بها عروة، وخرج البراض يطلب غفلته حتى قتله، وعلمت بذلك كنانة فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم. ثم بلغهم الخبر، فاتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما وعاونت قريش كنانة وشهد محمد (صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم. وسميت يوم الفجار بسبب ما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب. وقد قال (صلى الله عليه وسلم) عن تلك الحرب (كنت أنبل على أعمامي). أي: أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها ، وكان صلى الله عليه وسلم حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشر سنة، وقيل ابن عشرين، ويرجح الأول أنه كان يجمع النبال، ويناولها لأعمامه، مما يدل على حداثة سنه. وبذلك اكتسب الجرأة والشجاعة والإقدام وتمرن على القتال منذ ريعان شبابه، وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبدؤها، حتى ألف الله بين قلوبهم، وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الإسلام بينهم.

(تجارته لخديجة وزواجه منها وأهم الأحداث الى البعثة)

أولاً: تجارته لخديجة وزواجه منها

كانت خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) أرملة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال ليتجروا بمالها، فلما بلغها عن محمد صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة، وقدما الشام، وباع محمد سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد من السلع، فلما رجع إلى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تضاعف مالها.

وقد حصل محمد (صلى الله عليه وسلم) في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر الذي ناله، إذ مر بالمدينة التي هاجر إليها من بعد وجعلها مركزا لدعوته، وبالبلاد التي فتحها ونشر فيها دينه كما كانت رحلته سببا لزواجه من خديجة بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكريم أخلاقه ، ورأت خديجة في مالها البركة مالم تر قبل هذا وأخبرت بشمائله الكريمة ووجدت ضالتها المنشودة فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة فرضى بذلك وعرض ذلك على أعمامه، فوافقوا كذلك، وخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب فخطبها إليه وتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصدقها عشرين بكرة، وكانت أول إمرأة تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها ، وقد ولدت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) غلامين وأربع بنات وابناه هما القاسم و به كان صلى الله عليه وسلم) يكنى وعبد الله، ويلقب الطاهر والطيب. وقد مات القاسم بعد أن بلغ سنا تمكنه من ركوب الدابة، ومات عبدالله وهو طفل، وذلك قبل البعثة أما بناته فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وقد أسلمن وهاجرن إلى المدينة وتزوجن . هذا وقد كان عمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين تزوج خديجة رضي الله عنها ٢٥ سنة وكان عمرها ٤٠ سنة.

ثانياً: اشتراكه في بناء الكعبة الشريفة:

بناء الكعبة وقصة الحجر الأسود: اجتمعت قريش لإعادة بناء الكعبة، وأثناء البناء اختلفوا فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه ، واشتد الخلاف بينهم، وكاد أن يتحول إلى حرب بين قبائل قريش، ولكنهم تداركوا أمرهم وارتضوا أن يُحكموا أول داخل عليهم وانتظر القوم، وكل واحد يسأل نفسه ترى من سيأتي الآن ؟ ولمن سيحكم ؟ وفجأة تهللت وجوههم بالفرحة والسرور عندما رأوا محمداً يقبل عليهم، فكل واحدٍ منهم يحبه ويثق في عدله وأمانته ورجاحة عقله وسداد رأيه، فهتفوا هذا الأمين قد رضيناه حكما، وعرضوا عليه الأمر وطلبوا منه أن يحكم بينهم، فخلع الرسول (صلى الله عليه وسلم) رداءه ووضع الحجر عليه، ثم أمر رؤساء القبائل فرفعوا الثوب حتى أوصلوا الحجر إلى مكانه من الكعبة عندئذ حمله الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة ووضعه مكانه ، وهكذا كفاهم الله شر القتال.

ثالثاً: تهيئة الناس لاستقبال نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)

شاءت حكمة الله تعالى أن يعد الناس لاستقبال نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) بأمور منها:

١- بشارات الأنبياء بمحمد (صلى الله عليه وسلم) دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في العرب رسولاً منهم، فأرسل محمداً إجابة لدعوته، قال تعالى: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أنزل البشارة بمبعث محمد (صلى الله عليه وسلم) في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين فقال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجيل يأمرُهُمْ بِالمعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ المُنْكِر وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . وبشر به عيسى عليه السلام وأخبرنا الله تعالى عن بشارة عيسى قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مريم يابني إِسْرَائِيلَ إِلى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ . وأعلم الله تعالى جميع الأنبياء ببعثته، وأمرهم بتبليغ أتباعهم بوجوب الإيمان به واتباعه إن هم أدركوه، كما قال تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ . وقد وقع التحريف في نسخ التوراة والإنجيل وحذف منهما التصريح باسم محمد (صلى الله عليه وسلم إلا توراة السامرة وإنجيل برنابا الذي كان موجودا قبل الاسلام وحرمت الكنيسة تداوله في

آخر القرن الخامس الميلادي. جاء في حديث كعب الأحبار قال: (إني أجد في التوراة مكتوباً : محمد رسول الله، لا فظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون، يحمدون الله في كل منزلة، ويكبرونه على كل نجد، يأتزرون الى أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، صفهم في الصلاة، وصفهم في القتال سواء، مناديهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهجره بطابة، وملكه بالشام)